بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

يسارعون في الخيرات

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير، اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

إِلَهِي لا تُعَذِّبنِي فَإِنِّي ... مُقِرٌّ بِالذِي قَدْ كَانَ مِنِّي

وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلا رَجَائِي ... لِعَفوِكَ إِنْ عَفَوتَ وَحُسنُ ظَنِّي

وَكَمْ مِن زَلَّةٍ لِذِي الخَطَايَا ... وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضلٍ وَمَنِّ

إِذَا فَكَّرتُ فِي نَدَمِي عَلَيهَا ... عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَعَرْتُ سِنِّي

أَهِيمُ بِزَهرَةِ الدُّنيَا فُتُوناً ... وَأَقْطَعُ طُولَ عُمرِي بِالتَّمَنِّي

وَلَو أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهدَ فِيهَا ... قَلَبْتُ بِأَهلِهَا ظَهرَ الْمِجَنِّ

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيراً وَإِنِّي ... لَشَرُّ الخَلقِ إِنْ لم تَعْفُ عَنِّي

اللهم اعف عنا يا عفو، واغفر لنا يا غفار، وقنا عذاب النار. اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: لا شك أن شهر رمضان المبارك موسمُ خير وفضيلة، فيغتنم فيه الإنسان المؤمن الطاعات، وهو فرصةٌ للعودة والإنابة والرجوع والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، ذلكم لأنه هو يَجتمع على الإنسان المؤمن في أيامه العادية يَجتمع أمران: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وأنتم تعلمون حديث رسول الله ﷺ: ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)) صُفدت: وضعت الأغلال في أعناقها وفي أيديها، لا يكون للشيطان عملٌ في رمضان، فهي فرصة عوض أن يجتمع عليك عدوان يجتمع عليك عدو واحد، نفسك الأمارة بالسوء، فلذلك يجد الإنسان نفسه أقرب إلى الله سبحانه وتعالى في شهر رمضان المبارك، وانطلاقاً مِن قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له)) وانطلاقاً مِن حديث الحبيب المصطفى ﷺ: ((الشقي مَن حُرم رحمة الله سبحانه وتعالى في رمضان)) انطلاقاً مِن ذلك يَجب على الإنسان المؤمن أن يُعِدَّ العُدَّة وأن يُعلي الهمة، وأن يَطلب الطاعات قدر ما يستطيع، فيقوم الليل، ثم يتهجد لله تعالى قبل الفجر، ويَختم في رمضان ختمات للقرآن، وعلى الأقل ختمةً واحدة، يتوب إلى الله عز وجل، يُدَرِّبُ بصره يغض البصر يدربه أن لا ينظر إلى محارم الله، يُدرب السمع أن لا يصغي إلى ما حرم الله، يُدرب اللسان أن لا يقول إلا ما يرضي الله، لأنكم تعلمون حديث رسول الله ﷺ: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه)) ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب، هكذا نريد أن يذهب رمضان جوع وتعب بلا فائدة؟ ولذلك الإنسان المؤمن الحقيقي ماذا يَفعل؟ يَنتظر هذه المواسم مواسم الخير، لأن رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر، أليس كذلك ؟ ((ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) تَقريباً استعرضنا كل الأحاديث الآن، الإنسان المؤمن هو إنسان يَنظر إلى مواسم الخير ينظر إليها نظرة خاصة، هو ينتظرها فإذا جاءت اغتنمها، لأن القرآن دائماً كان يَبين لنا أن الخير لا يجب أن يمشي إليه الإنسان مشياً، ولا ينفع أن تَخطو إليه خطواً، الخير يجب أن تسارع إليه، وأن تُسابق إليه، وأن تنافس فيه، وأن تفر إليه، وأن تبادر إليه، وهذه الألفاظ التي ذكرتها هي ألفاظٌ قرآنية،

وألفاظ نبوية، جَمعتُ مِن عدة مصادر هذه الآيات، فقلت: سبحان الله، الله عز وجل عندما يكون هناك شيء مصلحة للعبد أخروية، مغفرة لذنوبه، فعل خير يرفع مقامه عند الله، يُدخله الجنة، كل ما فيه مبادرة للخير تأتي الألفاظ في القرآن الكريم بلفظ المسارعة، بلفظ المسابقة، بلفظ المنافسة، بلفظ المبادرة، بلفظ الفرار، كلها تفيد السرعة، لكن لما يتعلق الأمر بأمور الدنيا يَقول الله عز وجل: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ لم يقل فسارعوا، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] في فرق بين المشي وبين المسارعة، بين المشي والمسابقة، بين المشي والفرار، بين المشي والمنافسة، بين المشي وبين المبادرة، لذلك قلت: سأقف عند هذه الآيات:

الآية الأولى قول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران، وهو يصف طائفة من أهل الكتاب فيقول: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥] ويسارعون في الخيرات.

الآية الثانية قول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ انظروا إخواننا من يُسارع إلى الخير ماذا يكون الدافع لديه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ الله حاضر في أذهانهم وعقولهم وقلوبهم دائماً، يخشون الله، ويشفقون من عذاب يوم القيامة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يعطي الصدقة وهو خائف أن الله لا يتقبل الله منه، يُصلي الصلاة وهو خائف الله لا يتقبل منه، يُصوم وهو خائف أن الله لا يتقبل منه، فتسألني: أليست هذه سلبية في الإنسان؟ يَجب على الإنسان دائماً أن يَظن بالله خيراً، لأن الله قال في الحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)) أليس من الواجب على الإنسان أن يعمل من الصالحات ويحسن الظن بالله أن سيتقبل منه؟ صحيح هذا دائماً مقام الرجاء، صدقت، ولكن هؤلاء المؤمنون لكثرة خشيتهم لله وتفكيرهم في يوم الحساب، ولكثرة خوفهم أن لا تقبل أعمالهم لأنهم قرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ولخوفهم من قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [الكهف: ١٠٣-١٠٤] يظنون أنفسهم أنهم يعملون عملاً حسناً، هؤلاء سماهم الله بالأخسرين أعمالاً، ما تقبل منهم، لذلك هؤلاء الناس يعيشون بين الخوف والرجاء، عَرفت مَن هو الذي

يُسارع في الخيرات، هو الذي لا يعيش في مقام الأمل دائماً، ولا في مقام الرجاء دائماً، بل يَعيش برجاء بعفو الله ومغفرته وصفحه، وخَوف من الله تعالى، حِينئذٍ يُسارع في الخيرات، فالإنسان الذي يَعيش في جانب الأمل دائماً والرجاء وينسى الخوف من الله، ويترك هذا المقام مقام الخشية، هذا الإنسان سوف يتباطَأ في فعل الخير، لن يُسارع في الخيرات لأنه وضع في نفسه الأمل أنه سيغفر له، وسيدخل الجنة، لن يُسارع في الخيرات، فأعيد الآيات بسرعة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ما هي نهاية الآية؟ ﴿وَهُم لها سَابِقُون﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]، يُسارعون، وهم لها سابقون، هكذا المؤمن في مواسم الخير.

الآية الثالثة قول الله عز وجل عن سيدنا زكريا في سورة الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَةَ﴾ تُريد ولداً، لا يأتيك أولاد، عندك بنات وتُريد صبياً، عِندك صبيان وتريد بنات، تريد فضلاً من الله تعالى، زوجتك أخلاقها صعبة تُريد أن يُصلح الله زوجتك، ماذا لَديك من رغبات في هذه الدنيا ربنا قال كل هذا نَحن فعلناه، وهو كبير وهبنا له يحيى، وأصلحنا له زوجة، وناداننا فاستجبنا له، كل هذا قال ربنا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠] كيف لا يَستجيب الله لزكريا، هل هو إنسان قليل؟ هل تَعرفون من هو زكريا؟ لا والله يا رب نبئنا، مَن هذا زكريا؟ قال: ﴿إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيرَات﴾ لَيس يَمشي، يُسارعون، كلمة يُسارعون يَبحث عن عمل الخير، أين يُوجد صلاة تهجد؟ أين يَقرؤون جزءاً؟ أين يُوجد درس؟ أي مكان أنا أستطيع أن أنتفع؟ يسارعون في الخيرات، لم تَنتهِ الآية، قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ في ساعة اليسر كانوا يدعوننا، ليس فقط في حالة الاضطرار والعسر والمصيبة والنازلة والواقعة؟ لا، في حالة اليسر في السراء، وفي حالة العسر في الضراء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ كيف يترك الله الذي يَخشع له، الله لن يتركه، الذي يدعو الله في عسره ويسره الله لا يتركه، الذي يُسارع في الخيرات يَبحث دائماً عن الخير الله لن يتركه.

الآية الرابعة قول الله تعالى في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةَ﴾ هَل تستحق المغفرة من الله أن يُتسابق إليها؟ أي والله، إذا مغفرة من الله والجنة لا تَستحق أن يُتسابق إليها، فمتى السباق؟

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

الآية الخامسة قول الله عز وجل في سورة المطففين: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] في الجنة وعمل الخير والبر لا يوجد مشي عادي، هناك تنافس.

الآية السادسة قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ مَن هم؟ وسارعوا ... ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ فهنيئاً لكم أيها المنفقون، أول وصف ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فَعلوا فاحشة كبيرة من الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بصغيرة من الصغائر، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يُخبرنا ربنا أنه يُريد أن يغفر لهم ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ هذا هو الشرط ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

الرسول ﷺ يقول في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبو هريرة رضي الله عنه: ((بادروا بالأعمال سبعاً)) بادر سارع سابق نافس، في أمور الخير والجنة والآخرة، كلها بهذه الألفاظ جاءت في القرآن وفي السنة النبوية المطهرة، ((بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً)) من يَملك المال ماذا تنتظر حتى تصبح فقيراً؟ ((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً)) لا أملك مالاً أنا فقير، ماذا تنتظر أن يُصبح لديك مال وتَطغى وتنسى الله؟ أعوذ بالله، ((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مُشِدّاً)) يَشُدُّ على صاحبه فَيُهلكه، ((أو هَرَماً مُفَنِّدَاً)) يُصبح الإنسان يَخرف، ((أو موتاً مجهزاً)) يأتيك الموت ((أو الدجال)) هل تنتظرون الدجال؟ ((فَشَرُّ غائب يُنتظر)) هَكذا يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام، ((أو الساعة)) هل تنتظرون الساعة؟ ((والساعة أدهى وأمر)) إذاً يقول لنا رسول الله: ماذا تنتظرون؟ أيام معدودات، هذه الحياة أيام معدودات، أنفاس محدودة أو أنفاس معدودة في أماكن محدودة، اللهم أحسن ختامنا، يا رب توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، يا رب لا تُمِتنا إلا وأنت راض عنا، ماذا تنتظرون؟ الغني أن يفتقر؟ الفقير أن يغتني فيطغى؟ الهرم والتخريف؟ أم الموت؟ أم العجر؟ ماذا تنتظرون؟ تنتظرون الدجال؟ أم الساعة، حتى تقوم القيامة ما هذا؟ ((بادروا)) هكذا قال رسول الله في أمور الخير.

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة أيضاً: ((بادروا بالأعمال، فستكون فتن كقطع الليل المظلم)) أدركوا أنفسكم واعملوا، ما زلت حياً صَلِّ بِسُرعة، غداً تأتي أيام فيها فِتَن، قد يموت الإنسان في هذه الفتن، قد يتعرض لإكراه في شيء في الفتن، أدرك نفسك بسرعة، ((بادروا بالأعمال، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يَبيع دينه بعرض من الدنيا)) دِينه وعقيدته وإسلامه ومبادئه يَبيعها بعرض من الدنيا، بادروا قبل أن تصلوا إلى هذه الأوقات والأزمنة يقول سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ.

إنما هي قصة نختم بها هذه الخطبة، أنا ما رأيت كصحابة النبي ﷺ وآل بيته الكرام ما رأيت أكثر منهم استجابةً لأمر الله ورسوله، قرأنا في التاريخ الكثير والكثير عن الأمم السابقة، وعن الأنبياء السابقين، أما كصحابة النبي ﷺ وآل بيته في الاستجابة لما يَأمر الله لم تر أبداً في حياتك، يَتسابقون إلى طاعة الله وطاعة رسوله، الخمر تَسري في عروقهم فهل أنتم منتهون؟ انتهينا يا رب، وسالت طرق المدينة خمراً، لم يَبيعوه لما نهاهم ربنا عنه، ألقوه حتى يشرب منه أحد، في بدر يتسابقون إلى الموت، وفي أحد يتسابقون إلى الدفاع عن رسول الله ﷺ، في غزوة الحديبية حلق شعره يتبادرون شعراته الشريفة ﷺ، إذا عرق أخذوا الثوب الذي عرق به من أجل أن يكون بركة، وإذا لامس ثوب جسده أخذوه ليكون كفناً لهم، يَأمرهم بالخير فيستجيبون، في غزوة العسرة وقت قِطاف الثمار أطايب الثمار وفي المدينة مناظرة ينتظرون العام كله من أجل هذا الشهر، جاء الأمر بأن يُجهزوا أنفسهم لساعة العسرة، يقول سيدنا عمر: وقد صادف ذلك مالاً عندي، حَثهم رسول الله حثاً كثيراً على الإنفاق، كل ما لَديكم أحضروا، حتى ولو كان تمرة، يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: فصادف ذلك عندي مالاً كثيراً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، فَقَسَمت مالي وذهبت بشطره لرسول الله ﷺ، ووضعته في حجره -ذهب وفضة رماهم في حضن النبي ﷺ، فرح سيدنا عمر أنه يَعمل خيراً، ليس لأنه هرب من الزكاة ووجد فتوى عند شيخ حتى لا يدفع هذه السنة؟ وذَهَبُ امرأته لن يزكي عنه؟ سَعيد لأنه سَيدفع- فقال له سيدنا رسول الله: هذا مال كثير يا عمر، قال: نَعم يا رسول الله -فرح سيدنا عمر، وسيدنا الرسول يُدلل الناس بالكلام، نقول للمحسن أحسنت، والمسيء أسأت، ليس المحسن نغض النظر عنه، وكأننا لم نره، يَجب أن نقول له أحسنت، نُدَلِّلهُ بالكلام، هكذا الهدي النبوي من رسول الله ﷺ- قال: يا عمر هذا مال كثير -الله يجزيك الخير هذا كثير- قال: نعم يا رسول الله، قال: ما أبقيت لعيالك؟ قال: أبقيت لهم مثله -قَسمت مال بالنصف، فوضعت نصفه في البيت وأتيت بنصفه

إليك- قال: فجاء أبو بكر بمال لا يَكاد يستطيع حمله، فَوَضعه في حجر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر هذا مالٌ كثير، ما أبقيت لعيالك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال سيدنا عمر: فقلت بعدها والله لا أسبق أبا بكر أبداً، وجاء سيدنا عثمان -بنفس القصة ونفس الغزوة- بمائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها وعتادها وعُدَدِهَا -مثل سيارة بي أم أو مَرسيدس اليوم، سيارة فارهة جداً، عليها عَتَاد وعُدَد بنفس القيمة، يَعني كل واحدة بـ ٢٥ مليون ليرة سورية اضربها بـ ١٠٠ كم يساوي؟ لَديكم الحساب، جَاء بمائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها وعتادها وعُدَدِهَا، وقَدَّمها لرسول الله من أجل غزوة العسرة، رَسول الله ندبهم انتهى الموضوع، فقال: يا رسول الله هذه مائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها وعتادها وعُدَدِهَا، قال: يا عُثمان والمائة الثانية، قال له: سلمت يداك ولكن نُريد مائة أخرى غير هؤلاء، اضرب ٢٥ مليون بـ ١٠٠، شَغلة عظيمة كثيراً في زمانهم، مائة من الإبل، قال يا رسول الله أمرك، سأرسل لك مائة ثانية مثل هؤلاء، اضرب ٢٥ مليون بـ ١٠٠، قال: يا عثمان والمائة الثالثة، قال: أمرك، قال: والمائة الثالثة يا رسول الله، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء، قال: اللهم أني راض عن عثمان فارض عن عثمان، ما ضر عثمانَ ما فعل بعد اليوم، كان يُدللهم بالكلام سيدنا الرسول، يَقول للمحسن أحسنت، ولكن انظر لسرعة الاستجابة، لم يَقل نُريد أن نَرى المحاسب يا رسول الله، أتينا لك بمائة، ماذا لدينا وما بقي، قال: والمائة الثانية، قال: والمائة الثالثة، اللهم إني راض عن عثمان فارض عن عثمان، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، أحد من الصحابة اسمه أبو طلحة عَشق امرأة من المسلمات، كان هو غير مسلم وهي مسلمة اسمها الرميصاء بنت ملحان، أم سيدنا أنس بن مالك، وتدعى أم سُليم، فكان مَهرها الإسلام، قالت له: لن أتزوجك حتى تدخل في الإسلام، فأسلم أبو طلحة الأنصاري ودخل الإسلام، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: فكانت أكرم النساء مهراً، كان مهرها الإسلام، قالت له: لا أتزوجك حتى تسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وكان مِن أغنى أهل المدينة، نزل قول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾ [آل عمران: ٩٢] لا نُخرج الشيء السيء ونتصدق به، الغرض النظيف نَطويه من ألبسة لا نُريدها نَغسلها ونَطويها ونَضعها في كيس، ممتاز، ثياب صغرت عن أولادي أريد أن أتصدق بها، ممتاز، ولكن لَيس الأمر الذي خَرِبَ لَدَيَّ أَتصدق به، لا يجوز، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ درجة البر العالية الكاملة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾ ما هو الطعام الذي تُحبه تُنفق منه، الثياب الحسنة تُنفق منها، فجاء سيدنا أبو طلحة يا رسول الله، فقال يا رسول الله: أنزل عليك قول الله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾ [آل

عمران:٩٢] لا أصل إلى البر الكامل والخير المطلوب الكامل حتى أنفق مما أحب من أحب أموالي؟ قال رسول الله: نعم، قال: فإني أُشهدك يا رسول الله أن أحب أموالي إليّ البيرحاء، وإني جعلتها لله ورسوله، ما هَذه البيرحاء؟ بُستان فيه آلاف مِن شجر النخيل؟ في قِبَلِ المدينة المنورة، فيها بئر ماء بارد، كان رسول الله يمر منها ويشرب من ماء عذب بارد فيها، ويدعو لأبي طلحة، قال: هذه كلها هذا كل ممتلكاتي فهو لله ورسوله، قال: يا أبي طلحة إني أرى أن تضعها في الأقربين، قال له سلمت يداك، الله يجزيك الخير، بخ بخ، هذا مال رابح، هذا مالٌ رابح، إني أرى أن تضعها في الأقربين، قال: فَقَسمها أبو طلحة بين أقاربه، وتمر الأيام، يا سيدي هذا الإنسان المبادر المسارع الإنسان المنافس المسابق، تمر الأيام والأيام يُصبح من أفقر أهل المدينة، من أغنى أهل المدينة لأفقر أهل المدينة، ثم يعود لأغنى أهل المدينة، لأن المال عائد له، لكن فترة زمنية، فالإنسان المسلم يبتلى ويصبر، فيأتيه الفرج، لَيس فقط دخل الإسلام وتصدق فصار على الحديدة لأنه تصدق، أرأيت كيف صار لأنه تصدق بأمواله؟ معناها يَجب أن نحتاط ونأخذ حذرنا، نُخبئ بعض المال، ثم عاد وأصبح مليونير ملياردير أبو طلحة، لا تنظر للفترة الزمنية، يُصلي مع رسول الله ضيف في المسجد، يُرسل إلى بيوتات أزواجه يريد أن يستضيف هذا الضيف، ما عندكم؟ قالوا: والله ما عندنا يا رسول الله إلا الماء، حتى تمر لا يَملك سيدنا رسول الله في بيته، من البيت الثاني للثالث للرابع، إحدى عشرة غرفة، إحدى عشرة حُجرة، والله يا رسول الله ما عندنا إلا الماء، عَجز رسول الله، لا يُوجد شيء حتى يستطيع أن يُضيف هذا الضيف، قال: من يُضيف هذا الليلة يرحمه الله؟ انظروا للمسارعة فوراً سيدنا أبو طلحة قال: أنا يا رسول الله، آخذه وأُضيفه عندي ثلاثة أيام، لأن رسول الله ماذا قال؟ قال: مَن يُضيف هذا الليلة يرحمه الله، يدعو له بالرحمة، لو كنت أنا لأخذتها بروحي، سيدنا الرسول يَدعو لي بالرحمة، معناها أنا رُحمت من الله، القصة ضيف وعشاء، أمر سيدنا الرسول هذا، لم يَنتظر مباشرة أنا يا رسول الله، أخذه أبو طلحة وجاء إلى البيت، قال لأم سليم زوجته التي كان مهرها الإسلام، قال: ما عندنا؟ قالت: ما عندنا إلا طعام الصبية، قال: عليليهم حتى يناموا -احكي لهم حكاية حتى يناموا، معي ضيف رسول الله ﷺ، وهذا مسافر وجائع يريد الأكل- فقال: عليليهم حتى يناموا، وكان قبل أن يُفرض الحجاب -قبل أن تنزل آية الحجاب- عليليهم حتى يَناموا، ثم قدمي الطعام، وقومي إلى السراج، فتظاهري أنك تُصلحينه فأطفِئيه، تمثيلية مسرحية حتى يُضيفوا ضيف رسول الله ﷺ، حتى يُسارعوا في الخيرات، قال: عليليهم حتى يناموا ثم قدمي الطعام، وقومي إلى السراج، فتظاهري أنك تُصلحينه فأطفِئيه،

قالت: نعم، وضعت الطعام، تظاهرت أنها تصلح السراج، فأطفأته، فأكل الضيف ولم يأكل أبو طلحة ولا زوجته أم سُليم، أكل الضيف الطعام كله حتى شبع، وحمد الله عز وجل، وكان ذلك في صلاة العشاء، فغدا على صلاة الفجر سيدنا أبو طلحة وضيف رسول الله ﷺ إلى المسجد لِيُصَلوا الفجر، فلما رأى رسول الله ﷺ أبا طلحة نظر إليه فتبسم، وقال: يا أبا طلحة، لبيك يا رسول الله، لقد ضَحِكَ الله مِن صُنعكما بضيفكما الليلة، ربنا يَرى ويُشاهد ما فعلوا حتى يُطعموا ضيف رسول الله، من هذه التمثيلية التي فعلتوها، لقد ضحك الله من صنعكما بضيفكما الليلة، ثم دعا لأبي طلحة، فَكَثُر ماله وكثر ولده، وأصبح ملياردير سيدنا أبو طلحة.

اللهم اجعلنا ممن يسارعون في الخيرات، ويدعونك رغباً ورهباً، ونكون لك من الخاشعين، استغفروا الله يَغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق